البعد التاريخي في رواية حبيب مونسي"مقامات الذاكرة المنسية"

The historical dimension in Habib Mounsi novel "Maqamat Forgotten Memory"

خيرة المهدي هجالة

جامعة لونيسي علي(البليدة02)، kheira_elmehdi @yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2025/03/14 تاريخ القبول: 2025/12/14 تاريخ النشر: 2025/12/30

ملخص: يعالج البحث البعد التاريخي في رواية الأديب (حبيب مونسي) "مقامات الذاكرة المنسية"، ويسعى لتبيين أهم الأنماط الشكلية الموجودة في النص، والكشف عنها بأسلوب خيالي بغية التوجيه، وترقية الوعي وتزويده بقيم فكرية، وعلمية، وخلقية المحاربة للجهل، والداعية للعمل. وأسفرت أهم النتائج على أنّ التاريخ والقيم التعليمية المضمرة في الرواية، لهما أثر في تطور المعرفة الإنسانية، التي تستدعي لمعرفة حقيقة المجتمع البشري، ولمعرفة فهم حاجات الإنسان، ودوافعه، ومقومات الحياة الاجتماعية.

كلمات مفتاحية: التاريخ، الرواية، الخيال، الوعي، التعليم.

Abstract:

This research examines the historical dimension in the novel "Maqamat al-Dhakira al-Mansiyya" (Stations of Forgotten Memory) by the writer Habib Mounsi. It seeks to elucidate the most important formal patterns present in the text and reveal them through an imaginative style, aiming to guide and elevate awareness, and to equip the reader with intellectual, scientific, and ethical values that combat ignorance and promote action. The most significant findings indicate that the history and implicit educational values within the novel have an impact on the development of human knowledge, which is essential for understanding the reality of human society, human needs and motivations, and the foundations of social life.

Key words : History ; novel ; imagination ; awareness ; education.

خيرة المهدي هجالة، **الإيميل**: kheira_elmehdi@yahoo.com

1. مقدمة :

إن لكل أديب أو روائي صفات، وخصائص، ومميزات يمتاز بها، ونمط في الكتابة يبرز قدراته العقلية التي تختلف عما لدى غيره من الأدباء حسب خصاص تكوينه العلمي، ومميزاته الجوهرية وحريته في الاختيار، وتحمل مسؤوليته على ما يقترحه من أفعال، وما يلفظه من أقوال، وفي هذا الإطار يأتي المقال ليسلط الضوء على ماخطّ الكاتب الروائي (حبيب مونسي) في روايته "مقامات الذاكرة المنسية"، والإحاطة بخصوصية كتابته السردية التي تعالج، وتطرح بعض القضايا التي اشتاق إلى تجديدها ليوقف القارئ على أطلال حضارة مضت بعلمائها، فكم من ذكريات دفنت تحت الرماد والنسيان كانت أيام جميلة.. أيام ذهبية ذهبت ولن تعود، فكان شاهدا على زمن لن يتكرر وعلى جيل عاش ومضى كالأحلام، ليقلّب أوراق الذاكرة، ويستنشق عبير النور القادم من قلب الزمن الغابر.

إنّ مقامة الذاكرة المنسية ليست رواية نسجت حروفها فقط في سرد تاريخي، بل هي سيرة الصبر الجميل التي يفقدها الكثير من الناس في تحمل الابتلاءات، والقدرة على تحمل الأمور المؤلمة نفسيا، وفي مواجهة التحديات الشخصية، وتعزيز قوة الإرادة، فكانت هذه الرواية إحدى الجواهر الفنية التي نحاول من خلالها إبراز جماليات الحرف، ودقة العمل بين يدي القارئ، فتظهر لنا كبوابة معرفية، وفنية تأخذنا في رحلة فكرية جميلة عبر دهاليز الحروف، ومن خلال الإشكالات التي يمكن استخلاص منها الدروس ضمن إطار زمكاني حاولنا معالجة:(الشخصية، والحوار، والمكان، والموضوع، والصراع، وبناء العالم) من منظور تاريخي، وتحديد قيمه، من خلال المبادئ التاريخية؛ كما تعد هذه الرواية في نظرنا مرهونة بسياق مجتمعها المتعين، وصحته، وقدراته، وفرصه، وممكناته التي من شأنها أن توفر وتؤمن البيئة الحاضنة، والراعية والدافعة لنمو نشاطه، ولاكتشاف من هو (سليم)؟ ومن يمثله في الواقع بما هو كائن، وما يمكن أن يكون مع إلقاء نظرة نقدية على أهم التقنيات التي وجب اعتمادها، والبناء عليها، لذلك ينبغي وضع حوصلة دراسية في هذه المسألة الأدبية الثقافية ومن ثمة كانت الإشكالية المطروحة:

فيما يكمن البعد التاريخي في رواية "مقامات الذاكرة المنسية" للروائي حبيب مونسي؟ ومنه تنجر عدة استفسارات:

-كيف وظف حبيب مونسي التاريخ في روايته؟

-ما هي أهم التقنيات التي استعملها حبيب مونسي في روايته الأدبية؟

-أين تكمن القيمة التاريخية في الرواية؟

تهدف هذه الدراسة لتسليط الضوء على أهمية الرواية، وتبيين البعد التاريخي وأهدافه الثقافية فيها وذكر أهم التقنيات المستعملة، مع اعتماد المنهج الوصفي، والمنهج التحليلي من خلال الاطلاع على الدراسات السابقة.

2. الجانب التاريخي في رواية "مقامات الذاكرة المنسية":

2.1أهمية التاريخ في الرواية:

إن للتاريخ دورا مهما في بناء الأفراد، والمجتمعات فيعرفه ابن خلدون (1332- 1406) على أنّه فن عزيز المذهب: "اعلم أن فن التأريخ فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية، إذ يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا، فهو محتاج إلى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة"[1]ويقول شوبنهاور" إن التاريخ للأمم بمثابة العقل للأفراد".

وعلى هذا الأساس اعتمد جل الروائيين على التاريخ، واتخذوه مادة سردية محاولين في ذلك البحث عن الذات القوية المنتصرة، أو البحث للنهوض بهذه الأمة من كبواتها لتتمكن من تجاوز هزائمها والبحث عن حاضر، ومستقبل ينتصرون فيه للذات العربية، فإعادة قراءة التاريخ تستنطق شخوصه دون تحريف للأحداث التاريخية.[2]

وللرواية شكلها، وقالبها الأسلوبي، وبناء على ما ورد في العنوان كلمة (مقامات) يتبين على أنّها تصور أحاديث تلقى في جماعات، فليس فيها من القصة إلا ظاهرا فقط غايتها التعليم والأسلوب الذي تعرض به الحادثة[3]، ولتمثيل المضمون التاريخي فيها تم توظيف أشكال بلاغية

(الاستعارة، الكناية، المجاز) هادفة التشويق بغية التوصيل، مما أعطى للسرد قيمة فكرية في عملية تمثيل الوقائع تمثيلا تاريخيا.

وهذا التمثيل التاريخي لابد له من تصور للخطاب السردي الذي يسمح لنا بتعليل كونيته كواقعة ثقافية، واعتقاد أنّ الواقع الاجتماعي يمكن عيشه، وفهمه واقعيا على أنّه قصة، وهكذا فإن السرد يمكن اعتباره حل لمشكلة ذات اهتمام انساني عام أي المشكلة المتمثلة في كيفية ترجمة فعل المعرفة إلى فعل القص، مشكلة صياغة التجربة الإنسانية بشكل قابل للاستيعاب في بنى المعنى التي تكون ذات طابع انساني عام بدل أن تكون خاصة بثقافة معينة[4].

إن مزج التاريخ بالسرد الروائي فيه جمال وقوة، ومعرفة، لأنّه يقوي الإحساس بالتاريخ، ويرى (هيجل) حينما تجتمع الرواية بالتاريخ ينتج وعي تاريخي يكون على ثلاث صيغ: الوعي الأصلي، والوعي التأملي، والوعي الفلسفي، وهي صيغ تنطبق على الروائي، فمن الروائي من يكتب الرواية من خلال الوعي الأصلي إذا أعاد صياغة التاريخ كما كان دون المساس بواقعه، ومنهم من يكتب من خلال الوعي التأملي إذا ما ربط الماضي بالحاضر، ومنهم من يكتب من خلال الوعي الفلسفي إذا ما كان التاريخ مختلق بخيالات الروائي[5].

ومن هنا نجد أنّ الروائي حبيب مونسي قد استند على وعيه التأملي بتقنيات سردية للأحداث مستعينا في ذلك على الشهود التاريخية التي رسمت معالم الذّات، وشكّلت كينونتها، وما دامت الحاجة ماسَّة دائما لفهم الذات، استحضر نفسه بالشخصيات التي هي لغته الخاصة[6]. وعليه لا يمكن التسليم بوجود حقيقة ثابتة لهؤلاء الأفراد وإن توفرت تلك الحقيقة موضوعيا، فهذا إن دل إنّما يدل على الروافد المعرفية التي استقى منها معلوماته، وعلى معايشته بين صفحات الكتب، فكانت مفرداته وتشبيهاته تنتمي إلى عالم آخر من الدقة والعمق.

ويرى حبيب مونسي من خلال هذه الرواية أنّ التاريخ والزمن لا يغيران المعنى للعلم والتطبيب فهو يحافظ على استحضار العقاقير، وطريقة استعمالها النابعة من تاريخ أمة من حضاراتها، وثقافتها ومن خبراتها الماضية، فحضور الأشخاص معه حقيقة لا تقاس بمقياس الحضور المادي العيني،[7] "إن التاريخ يترك فيك من الآثار مالا تستطيع التخلص منه، بل يسكنك إلى آخر أيامك، ويفيض عليك بسيل من الأسئلة تقض مضجعك"[8].

2.2 التخييل التاريخي:

يعد الخيال وسيلة ثقافية في كل مرحلة تاريخية، وكل شخص لديه طريقته الخاصة في تصور السرديات التي يتم قبولها على أنّها ليست حقيقية حرفيا بل كأداة لنوع من الحقيقة الأخلاقية أو الثقافية، والخيال ليس مرضا لغويا بل هو في المقام الأول والأهم من ذلك طريقة للتعبير عن وجهة نظر لثقافة ما في شكل سردي؛ هذا ما أشار له الراوي من خلال واجهة الكتاب، وبالتالي ندرك أنّ الرواية أو المقامة هي أحد الأنواع الأدبية التي تتعامل باستمرار مع الأشخاص، والأحداث التي يدركها القراء من خيال المؤلف بالكيفية التي تتلاءم، وتتناسب حيث يتم استحضار فيها شخصيات مستوحاة من أفراد حقيقيين أو خياليين يتصرفون بشكل مناسب للفترة الزمنية، فكيف اعتمد مونسي التاريخ في روايته؟

لقد كان هدف الكاتب من روايته الكشف عن شخصيات من الماضي للقارئ نافذا بمصطلحات ذات دلالات الأعماق، ومن بين ما اقترح نذكر على سبيل المثال (الجاحظ، الاستعمار، الكاهنة، جلجاميش، ابن خلدون،..الخ)؛ إن هذه المصطلحات نسجت على منوال خيالي، فبنى الخيال تروي لنا أشياء عن الحياة البشرية التي لا نحصل عليها بأي طريقة أخرى،[9] ولولا هذا التوظيف لما كانت القصة وليدة التشويق، وكان لهذا النسج غاية تعبر عن تجاوز معين لما هو كائن.

إنّ بعض مقتطفات هذا الضرب التاريخي كان من نوع (الفانتزيا) الذي بدى من خلال اختيارها الابتعاد عن الزمن الراهن، وعلى أنّها تستجيب تماما لمبدأ الاستمتاع، إذ ترى في هذا الابتعاد مصدرا للنشوة، فهي تجنح إلى تصوير ماضي خيالي ومطمئن[10]، والاتجاه الفانتازي هو مصطلح يعبر عن اتجاه المغامرة حيث ذكر مصطلح (سندباد) ومصطلح(الجزيرة)، وشواهد الآثار كـ (الكعبة الشريفة، والأهرامات).

وفي سياق هذا الحديث برزت شخصية سليم مقاومة للتيار القاسي الذي سيطر على حياته، وبينما تتصارع مع عالم غير مألوف بشكل متزايد لا يملك فيه سوى القليل من السيطرة، اضطر إلى طرح أسئلة موجهة لمخيلته، وفي نفس الوقت لغزا عليه حله، فعندما اختار ذلك إنما اختاره للتحرر

من الضغوطات، ويحيل بذلك قائلا: فهمنا هذا الكل في سياقه الحضاري العام فهمنا من الحضارة التي نتحدث عن حقيقتها المنسية.[11]

إن الفكر، والخيال والالهام والأحاسيس والمشاعر...استطاع الإنسان بها بناء الحضارات والتأقلم والتكيف مع كل ما يحيط به من عوالم وأن يبدع ويخترع وهذه أمور لم تستطع الكائنات الأخرى إنجازها، فالإنسان القديم كان يتبادل الأفكار مع أقرانه[12] وفيما طرحه ما يشبه الحرية الفنية التي لا حياة للفن بدونها، ناهيك عن شبهة الإبداع التجديد!؟

والخيال هو الماء الكريم الذي يسقي هذه اللغة فتنمو وتربو، وتمرع، وتخصب، والتقنيات لا تعدو كونها أدوات لعجن هذه اللغة المشبعة بالخيال، ثم تشكيلها على نحو معين، ولكن اللغة والخيال، لا يكفيان، وهما عاملان في كل الكتابات الأدبية، ومن أجل ذلك نلفي الرواية من حيث هي ذات طبيعة سردية قبل كل شيء تنشد عنصرا آخر هو عنصر السرد أي الهيئة التي تتشكل بها الحكاية ولهذا السرد أشكال كثيرة تقليدية كالحكاية عن الماضي[13].

،كما أنّ التخيل والاستطلاع والمنطلق والمغامرة، والمثالية تتماشى وطبيعة مادة فهم التاريخ وتشجع المتعلم على تقديم الاستنتاجات، والاستدلالات من المصادر المختلفة، فالتاريخ اكتسب نوعا من التحدّي إذا كان التاريخ المطروق أو المستدعى والمعالج قريبا، عائدا إلى عقود خلت، بحيث تكون الكتابة بوابة للتخييل، ومدخلا إلى قراءة جديدة لحدث لا يزال متفاعلا في الذاكرة والواقع و الشروع بالانطلاق في ميدان الخيال هو إطلاق لطاقة ذاك الخيال على تلمس دروب الذاكرة والتاريخ، وتدوين وقائعها[14].

لقد أفاد الكاتب في ملء فراغات التاريخ، وانشاء شخصيات تسهم في الرواية، تقوم بمهمة الخطاب الرسالي، وذلك ما أدى بفهم التفكير على أنّه عبارة عن كلام خفي غير مسموع سواء كان في النهار أو في الليل، وإنّ الذي يهمنا هنا هو التركيز على أهمية وحيوية هذا الخطاب والتواصل الذي يتم بين متكلمين ومخاطبين، متداولين لهذه الوظيفة الإنسانية الاجتماعية الحيوية بينهما إرسالا واستقبالا، وبتلك الرموز الأساسية ذات الدلالات الفكرية سواء كانت هذه الرموز شفاهية، أو كتابية لفظية، أو حركية تعمدها الكاتب.

3. تحديد قيم الرواية:

1.3.قيم دينية اجتماعية:

تمثلت في الرواية جملة من قيم يمكن حصرها في الصدق، والرحمة، والصبر لتعزز بها الروابط الاجتماعية عبر غرس مبادئ أخلاقية متجذرة في التعاليم الدينية، وباعتبارها قيم تحمي من الفوضى والظلم، فكان ما يعزز ارتباط حبيب مونسي بالجانب الديني، أو تمثيله له تم تصميم الفقرة الأولى من الرواية، لا سيما جملتها الأولى "إنّك لن تستطيع معي صبرا "فكانت لحظة تكوينية ذات أهمية فنية خاصة حيث اعتبرت كمدخل، أو فاتحة لروايته، أو منبع السرد الموظف للنص حتى الجملة الأخيرة.

وفي سياق المتن بدء الصراع الذي يخلق الحركة، وتتقدم الأحداث مع المشهد، ويظل قلق البداية يتقدم مع تقدم الروائي، فبين مشكل التقاعد أنّ العمل عبادة، ويرى في" التقاعد موت قبل الموت، وانهاء قبل النهاية، وأن جنون العالم كله في هذه الوضعية إذا ما بلغ الفرد ذروة النضج، والتجرد، والإخلاص، والعلم بدل من أن يستفيد العالم من خبرته يحيلونه على التقاعد"[15]. لقد كانت صرخة نحو العمل الذي يغادر في حنين بلغة خفية التي لم يعد يفهمها الجميع، والتي تجعلنا نستفسر ما السبب وراء التقاعد؟ هل هو ضعف الإنسان ومرضه على أنّه لم يعد يعمل كما كان مسبقا؟ هل يكمن الخلل في العامل نفسه؟ أم في المحيط والمؤسسات التي تدعمه؟

وبذلك تكون المفاتيح قد فقدت لتفتح أسرار العمل، إنّه موت الجانب العملي، وانزياح الحرفة التي كانت تملأ فجوات النص والاستعداد لملأ الوقت، فبقي سليم يحدق في صمت المكان ليذكرنا بأنّ بعض الأصوات حين تختفي تترك في الأذن والقلب فراغا لا يملأ، وتتنفس الذاكرة عبر جدران المستشفى المسنّدة بظلال القرون، ومدونة تسجل عليها سيرة الصوت، والعمل.

إنّ معنى الحكي لا يقوم في الأصوات ولا في التركيب، ولا في المكونات الدلالية، بل في علاقة أسمى من ذلك كله إنّه على الأصح دلالة الدلالة، أو معنى المعنى[16].

لقد لعب الروائي الدور الأهم في تكريس هذا الاتجاه، وكرس جهده لمحاكاتها مع الواقع والنسج على منوال الخيال، فاختار المكان (المستشفى) الذي يفتح فجوة للبوح والاعتراف، وتصور إحداث العلاقات بين الأفراد في العمل، وفكر بربطها بروابط غير حقيقية لا تبدو للآخرين، واختلق

المواقف لتبرير سلوكه، والتي تظهر في جميع الأحوال رغبة من بطل الرواية (سليم) في أناس يستمعون له لا أناسا يناقشون ويعارضون، وحين يستدعي الموقف قدرات عقلية تنفجر الانفعالات، وتتولّد الإرادة السليمة التي هي عبارة عن ثمرة (وظيفة العقل+ المثل الأعلى) أي ثمرة القدرات العقلية، ومنهج التفكير السليم، والمثل الأعلى في التربية الإسلامية يعني نموذج الحياة التي يراد للفرد المسلم أن يحياها وللأمة المسلمة أن تعيش طبقا لها[17]،فاختيار اسم (سليم) في نظرنا يوحي بالعقل السليم والقدرة على التفكير بوضوح، وتكوين أحكام عقلانية خالية من الاضطرابات العقلية التي تدعى بالجنون.

ومن خلال ذلك وصل الروائي من حيث صورة الحرف، وأسلوب التركيب إلى استناده بمصطلحات دينية مأخوذة من "القرآن"، تظهر في ذكر "الخضر "لاختبار درجة الصبر و"المعراج" الذي يوحي الصعود للسماء، فانتقل من الترحال في الأرض إلى السماء " إنّه المعراج يصعد بنا الى القاعة المسدسة"[18]. لقد كانت رسائل جمالية في الرواية ولذلك يجدر بنا فهم أسباب هذا النوع من الكتابة التي توحي بتشرب الروائي من الثقافة الإسلامية، وعدم استيعاب الناس لها ولجوهر الحضارة فظهرت الروح المحافظة التي انعكست على الأمور الدينية، والدنيوية مستندة على الأفكار العلمية والأدبية، وغيرها من الآثار التي برع في محاكاتها، وتقليدها والنسج على منوالها.

وما يثير الدهشة في الرواية عدم توافر بيئة معطاءة قادرة على احتواء سليم (الأسرة)، وتقديم المساعدة المادية والمعنوية بالأخص له، و مما هو معلوم فإنّ عدم احترام الكبير، وتوقيره، والاستغناء عنه يتناهى مع ديننا الحنيف، وإلى جانب ذلك كان قيام العاملين بالمستشفى في حجز حجرة للعلاج لهو عمل دون إدراك قيمة للشخص، إنّ هذا العجز الاجتماعي دفعه إلى التفكير، والتسلل برفق إلى عقول العاملين، وبدأت تبرز اهتماماته مع الأحداث التي يتعايش معها، فتطرق لمسألة الزواج التي ت كشف المخبأ من صفحاته، وليس من المستغرب في حالة التردي، والأمية الثقافية وغياب الرأي، والتي عمت بعض المثقفين، حيث تناول ذلك في وصفه للممرضة (اسمهان)، وهذا الوصف ساعده على الغوص في الشخصية ليصورها في سلوكها اليومي الاعتيادي، وتعايش الشخصية في أدق ظروف حياتها ناصحا إياها بالزواج.

وكان هذا نموذجا بسيطا لما يلقنه الأهل لأبنائهم، فيجب أن ينتموا إلى دين الأهل أو فكرهم لأنّه الحق الوحيد، وما دونه هو الباطل، فتكمن قيمة الزواج في الدين الإسلامي في كونه نصف الدين الذي يصدر منه الاستقرار، والسعادة، والتعاون، ويحقّق العفة التي تحمي من الوقوع في الحرام اتباعا لسنة الأنبياء.

ولقد تطرق أيضا لقضية الانحراف مع شخصية حمدان حيث قال:" الانحراف.. الانحرافات.. هذا هو التفسير الصادق لما يحدث لنا"[19]، إنّ هذا الأمر يستدعينا لطرح السؤال التالي:

فهل من الصحيح والعادل أن نسمي بنات أفكارنا أو مخيلتنا جنونا؟

إن التخيل التربوي هو خطة تدريسية تستند إلى ست مرتكزات هي الاسترخاء، والتركيز والوعي الجسمي، والحسي، ثم ممارسة التخيل، والتعبير عنه باللفظ، أو بغيره كالكتابة، أو الرسم حتى يصل المتأمل إلى كيفية استثمار تلك التخيلات الداخلية في حياته اليومية[20]، ومن ثم وجب التواصل باستمرار بين شخصيات القصة دون انقطاع، ووجب توضيح الرؤية، وتبليغها بحكمة وإصرار.

إن موقف (سليم)كشف عما في الضمير، وكانت الدعوة مرتبطة بالعزم، والفكر، وبالخطاب والتذكير في سرد تاريخي للتأثير بحجة البيان، ولإقناع هذا الرفيق الإنسان المتمثل في(الطبيب) بالعقل والإرادة الحرة، وفي علة وجود الأشخاص، ولا شك أنّ التربية الدينية تأتي باستحضار أدوات الخطاب المتمثلة في:(السمع، والتفكير، والتعبير عن مكنونات الضمير) أي مطابقة ما في ذهن الإنسان الناطق المفكر، والمتكلم بما يلفظه اللسان السليم من كلام قويم.

ومن خلال ذلك كانت مهمة مونسي المنوطة تتبع نمو المعرفة العلمية بوجود علاقات ترابطية كلها في الوقت ذاته منذ البداية، ويقر بتداخل بعضها بعضا كسلسلة من أفعال أشخاص معينين يبرزون إنجازاتهم، وأحكامهم وخيالاتهم، فتظهر العلاقة الوظيفية التكاملية بين ملكة الكلام، وملكة التفكير، وتجمع على وجود هذه العلاقة في ذاتها التي يؤثّر بها كل طرف في الآخر.

2.3 قيمة علمية ثقافية:

برزت في الرواية قيمة علمية ثقافية تشير إلى القيمة الجوهرية للعلم ودورها في بناء عقول قادرة على التفكير النقدي، فكان الحوار الذي يمكن أن يصرف انتباه القارئ بسهولة وإذا تأملنا عمل الروائي نجده يتألّف بالكامل من لغة سائحة للتعبير وتقدّم ببعض المفردات، وببعض العبارات المألوفة للقارئ، والحوار كان قد شكّل الخطوة الأساسية لتقبل الشيء أو عدم تقبله، وذلك ما نترصده بين سليم والطبيب لتفسير العملية التعليمية، حيث نشير إلى ذلك في قوله: "أن القراءة طقس، وكل طقس تحضيره الخاص، وأن الفعل تال لسلسلة من الاستعدادات التي تهيئك للدخول إلى حرم النص، فإن أنت لم تحسن الاستعداد، ولم تهيئ آلات الاستقبال، وتضبط وتيرتها، وتصفي قناتها فاتك من القراءة روحها الأول"،[21]. وفي قوله: "الصياغة التي يتخذها العلم لقوانينه التي يحسبها نهائية ماهي في واقع الأمر إلا صياغات وقتية يحكمها عجز اللغة ومحدودية المعطى الفكري الذي يصوغها، فإذا تبد شيء منها تبدلت الصياغة، فأبطلت الصياغة السابقة"[22].

إن الخوض في هذا المصطلح مجرد اطلاع على مبادئ بل هو تجربة ثقافية، وفنية تثري الذائقة وتعمق الفهم إنّها دعوة لاستعادة بهاء العلم في الذهن والقلب.

لقد تجلت حقيقة التعليم في اعتماده على ثلاثة عناصر أساسية مهمة وهي: (الاتصال) ومن خلاله فهم التأثير الاتصالي، وأهميته من جانب، وتبيان طريقة استخدامه من جانب آخر، وباعتبار الاتصال أساس التفاعل تم نشوء علاقات متنوعة، ومتعددة بين الأفراد في مختلف المواقف، ابتداء من وجود شخصين على الأقل، (الطبيب وسليم) ثم تعددت إلى (عائشة، واسمهان، والشيخ حمدان، والطفل)، فلجأ للتخطيط، والاعداد، والتعبير عن الحالة النفسية وفهمها.

إنّ هذه العناصر جعلت الرواية في غاية الأهمية تحوي الواقعية الرمزية، والفنية الموضوعية التي اصطبغت النص بأجواء سردية، وأصوات شخصياتها المتفاعلة متعددة في شخوصها، ومتعددة في انسياقها الثقافي الظاهر، والخفي فبدى جهد الكاتب في تعامله مع الصيغة المناسبة لمعاني الكلمات وظهرت العلاقات القوية قيمتها وقت الحزن، ووقت سوء التفاهم، فيظهر صدقها في قدرتها على التغلب على نزغات السحرة والمشككين في تطرقه لـ (الساحرة) ليثبت قوة المؤمن في مواجهة السحرة ،كان الجدل بين العام والخاص، وأشار بذلك أيضا إلى الكسل العقلي العام الذي ينعكس على الأفراد، ويلجم نشاطهم العقلي فكريا كان أم معرفيا، علميا أم إبداعيا، وفي الجانب الفني السمعي

البصري يرمز إلى انتاج الفيلم على أنّه ليس للتسلية كما يتوهم البعض، بل هو رسالة من فريق التمثيل إلى العامة من الناس[23].

إنّ اختيار المعنى الذي سيطر على ساحة الرواية اتخذ اتجاهان اتجاه ماضوي عاش مع شخصيات علمية تاريخية هامة، واتجاه حداثي مثّل أعضاء المستشفى ورؤاهم دون فحص أو تدقيق فصار طرحه مقتصرا على أفراد يواجهون عنت أصحاب الاتجاهين المذكورين، فوضع الاتجاه الأول في قفص ذهبي وفنون المحاكاة، بدعوى القدسية تارة، وبدعوى وصوله إلى الذروة في ذلك العصر وثانيهما الحداثي ألبسه من التقنيات الحديثة المشككة في أعمالها وعلى هامش هذين الاتجاهين نطرح الأسئلة بصحة كل من الاتجاهين!؟

سنحاول هنا الغوص في الرواية، لنعي الأسباب ونفهم الخلفيات وندرك ضرورة، وحتمية سؤالنا للوصول إلى حداثة ابداع قلم، الذي استمد أفكاره من التاريخ، وركّز على شروط العلم، فاشترط في ذلك روابط المحبة بين العالم، والمتعلم لأنّ المحبة هي السبيل الأقوم الذي يفتح بينهما سبل التواصل القائم على الثقة والصدق، وبالتالي يفتح المتعلم قلبه لاستعداد المعرفة ليستقي من المعلم شيئا محببا وما يتجاوز من المادة العلمية إلى الشمائل، والأخلاق، والسلوك، لأنّنا لا نرى التعليم مادة علمية تحشد بها الرؤوس، بل التعلم تربية مستمرة تتجاوز العلم إلى الأخلاق[24].

لقد استعمل حبيب مونسي العقل المنتج للأسئلة، ،كان الساعي دوما للبحث عن الأجوبة التي سرعان ما تنتج أسئلة جديدة ليظل العقل على الدوام فاعلا يعقل الإجابات، ويدركها ليتسلح بها لاستنباط أجوبة على أسئلة لا تكف عن التوالد، وفي سبيل ذلك يطلق العنان للمدارك والخيال وبفضل العقل الفاعل، وديناميته استطاع أن يصل إلى ما وصل إليه في "مقامات الذاكرة المنسية".

وفي ضوء هذا المنظور يمكن ملاحظة تطور العلاقة بين (سليم ومرافقه الطبيب) بعد أن كان يرى فيه الجنون، وبحكم المعاشرة اكتشف النموذج الفريد، والخير من الناس، وبهذا يكون سليم قد حرض عقل (رفيق) على العمل[25]. وفي الأسلوب من القول تتضح صحة الثقافة إما يكون الفرد سليما أو سقيما، وبالتالي برزت وظيفته في نقل المعرفة، وفي استخدامها وتطبيقها خدمة للأفراد وهندسة في بنائها قلبا وعقلا، واعتقادا وإرادة.

من هنا ثارت حلقات النقاش، ورأى في الرواية ما يجب أن يرد عليه، أو يبني على ما جاء به هذا هو السبيل في حب العلم وأهله "خيركم من تعلم العلم وعلّمه"، فكان قلب العلم النابض هو الجدل العلمي المحمود، ونرى في الحرف المنسج للنص تاريخ أمة وفلسفة حضارة وتفكيك شيفرة هذا الحوار لفهم كيف يتحدث صناع النقد من خلال ايقاعات يبدعها الحوار.

لم يكن المستشفى في نظرنا مجرد دار للعرض الروائي بل كان صالونا ثقافيا يمزج بين الشخصية الأدبية (سليم) مع الشخصية العلمية (رفيق)، فكانت النخبة مشتملة في عرض أفكارها وكان الدخول إليه طقسا مثّل الزمن من مختلف أبعاده.

4. خاتمة:

وفي الأخير نخلص في ظل هذه التلميحات من الواقعية والخيال، أنّ" مقامات الذاكرة المنسية" قدمت في أبهى حلة، توحي بإعادة اكتشاف بعض مهام العلماء، وفي ظل التحديات فكر الروائي في بناء عالم تاريخي سحري ليخلق مشهدا للقارئ، ويدخله إليه، ويصبح جزءا منه، ومنه نستنتج:

-كلما زاد تقارب الكاتب، واندماجه مع الأشخاص في القصة، كلما زادت الحاجة إلى تقارب العلوم واللجوء لها، واستدعائها.

- الانتفاع بعلم الكاتب لم يكن مقصورا على المعلومات الأكاديمية، بل شمل منهجية التفكير والدقة في العمل والنظرة الشمولية التي تجمع بين التخصصات المختلفة.

- تمتلك الرواية قيم إيجابية حثت على الانسجام، والتضحية، والإخلاص بالعمل، والنزعة الجماعية، ونبذ فكرة الجنون، والانفعالات العنيفة، فكان المدخل الثقافي في تفسير ذلك الظاهر(الصبر).

- تم اقتناء الحرف في البنية التشكيلية للنص، ليصل ما انقطع من حلقات التطور الأدبي ولتستنهض تجلّياته البديعة، ويبرز رؤية فنية تنضح بروح الإبداع.

وفي الأخير نوصي بـ:

– دعوة لكل المبدعين الأدبيين لتوظيف مهاراتهم، ومواهبهم، وخبراتهم، ومعرفتهم في سبيل الوصول إلى حداثة تليق بفن الكتابة العربية، وتعيد إليها ألقها، وتجدّدها أو حيويتها، ومكانتها المميزة لتلقى صدرا رحبا لدى القارئ.

–غرس روح البحث والفضول، وكيف يمكن للأدب أن يكون أداة فعالة في خدمة العلم والمجتمع.

–على أي كاتب أن يتجنب الطريق المعبد المألوف، وأن يبحث بنفسه عن طريقة في التعبير، ليرسم بصمته الخاصة التي لا تجمعه مع كاتب آخر.

5. قائمة المراجع:

- المؤلفات:

–ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2001.

– فراي نورثروب، الخيال الأدبي، ت: حنا عبود، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، 1995.

– الكيلاني ماجد عرسان، أهداف التربية الإسلامية، ط2، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، 1988.

–لجنة من أدباء الأقطار العربية، المقامة، ط3، دار المعارف القاهرة، 1973.

–لحمداني حميد، بنية النص السردي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1991.

– مرتاض عبد المالك، في نظرية الرواية، المجلس الوطني للفنون والآداب، الكويت، 1998.

– مونسي حبيب، مقامات الذاكرة المنسية، الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب، 2004.

– المويقن مصطفى، تشكل المكونات الروائية، دار الحوار للنشر، سوريا، ط1، 2001.

– وايت هايدن، محتوى الشكل، ت: نايف الياسين، ط1، هيئة البحرين للثقافة والأثار، المنامة، 2017.

- المقالات:

– بوزيتو روجيه، دراسات وأبحاث الخيال العلمي الغربي في أزمة !ع5+6، الخيال العلمي، سورية، 2008-2009.

– حسين هيثم، الرواية والتخييل التاريخي، مجلة العرب، ع1043، لندن، 2016.
– الريس مخلص عبد الحليم، العين الثالثة قراءة في أسرار الطاقة المغناطيسية، الخيال العلمي، ع5+6، سورية ،2008 /2009.
–صالح هويدا، التاريخ والتخييل.. في "رواية الأسير الفرنسي"، مجلة الشارقة الثقافية، ع100، أبو ظبي ، 2024.
– عبد الهادي جميل عبد الله عبد الخالق، أثر استخدام استراتيجية التفكير المزدوج المدعومة بأنشطة للتخيل الموجه على تنمية بعض مهارات الفهم التاريخي والدافع المعرفي لدى طلاب المرحلة المتوسطة بالمملكة العربية السعودية، مجلة كلية التربية، ع 121، بنها، 2020.

6.الهوامش:

[1] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،2001، ص13.

[2] هويدا صالح، التاريخ والتخييل.. في "رواية الأسير الفرنسي"، مجلة الشارقة الثقافية، ع100، أبو ظبي،2024، ص.109.

[3] لجنة من أدباء الأقطار العربية، المقامة، ط3، دار المعارف القاهرة، 1973، ص.ص.8،9.

[4] هايدن وايت، محتوى الشكل، ت: نايف الياسين، ط1، هيئة البحرين للثقافة والأثار، المنامة، 2017، ص.ص.21،27، 28.

[5] مصطفى المويقن، تشكل المكونات الروائية، دار الحوار للنشر، سوريا، ط1، 2001، ص49.

[6] حبيب مونسي، مقامات الذاكرة المنسية، الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب، 2004 ص13.

[7] نفس المصدر: ص.15.

[8] نفس المصدر: ص.104.

[9] نورثروب فراي، الخيال الأدبي، ت :حنا عبود، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، 1995، ص.73.

[10] روجيه بوزيتو، دراسات وأبحاث الخيال العلمي الغربي في أزمة!، مجلة الخيال العلمي، ع5+6، سورية،2008/ 2009، ص.9.

[11] المصدر السابق: ص.88.

[12] مخلص عبد الحليم الريس، العين الثالثة قراءة في أسرار الطاقة المغناطيسية، الخيال العلمي، ع5+6، سورية،2008/ 2009، ص.100.

[13] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، المجلس الوطني للفنون والآداب، الكويت ،1998، ص.27.

[14]عبد الله عبد الخالق عبد الهادي جميل أثر استخدام استراتيجية التفكير المزدوج المدعومة بأنشطة للتخيل الموجه على تنمية بعض مهارات الفهم التاريخي والدافع المعرفي لدى طلاب المرحلة المتوسطة بالمملكة العربية السعودية، مجلة كلية التربية، ، ع 121 ،بنها، 2020، ص.4.

[15]مونسي، المصدر السابق: ص.14.

[16]حميد لحمداني، بنية النص السردي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت،1991، ص.108.

[17]ماجد عرسان الكيلاني، أهداف التربية الإسلامية، ط2، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، 1988، ص.ص.77، 78، 80.

[18]المصدر السابق: ص. 75.

[19]نفس المصدر: ص.85.

[20]عبد الهادي جميل، المرجع السابق، ص.5.

[21]المصدر السابق: ص.37.

[22] نفس المصدر: ص.41.

[23]نفس المصدر: ص137.

[24]نفس المصدر: ص.ص.173، 174.

[25]نفس المصدر: ص.ص،228، 229.